الفصل الأول

تجربتى مع الحركة الإسلامية

فى السبعينيات

بدأت علاقتى بالحركة الإسلامية الطلابية فى جامعتى (جامعة المنيا) فى صعيد مصر حينما التحقت بكلية الهندسة عام ١٩٧٦م، وكان عامى الدراسى الأول، حيث كانت الكلية تعج بالنشاط الوافر لقوى اليسار الماركسى والناصرى، وكانت كل جدران الحوائط مملوءة بمجلات الحائط التى تهاجم الدولة ورئيس الجمهورية وحرمه بكل قسوة وحرية فى آن واحد، حتى إن الحوائط التى مُلئت بالمجلات لم تكف، وكان الطلاب اليساريون يعلقون مجلات الحائط على حبال بمشابك مثل مشابك الغسيل، وكانوا أيضًا يضعون المجلات على البلاط على الأرض، وكان المشهد الطلابى يساريًا (ماركسيًا وناصريًا) بامتياز، فلم تجذبنى هذه الأنشطة وتلك الدعوات.

ولقد كنت من أسرة بسيطة ومتدينة، وكنت أصلى منذ صغرى، ولقد ذهبت للكُتّاب حينما كان عمرى ثلاث سنوات ومكثت فيه مدة طويلة حتى قُرْب نهاية المرحلة الابتدائية، فحفظت أجزاء من القرآن ليست كثيرة لكنها كانت كافية لتزرع بذور الإيمان والتدين فى نفسى، لهذا لم تجذبنى الأنشطة اليسارية حتى قُرْب نهاية العام الدراسى الأول حين تعرفت على زميل لى من سيناء هو الأخ أحمد عبد العال، وبدأ معى حوارًا دينيًا إيمانيًا، وتدرجت معه فى الحوار حتى اقتنعت بضرورة الحرص على الالتزام أكثر مما أنا فيه سواء بالشكل (إطلاق اللحية) أو السلوك، والحرص على الوجود فى المسجد وحضور الجماعات والمشاركة فى النشاط الإسلامى بأشكاله كافة، ولم ينته العام الدراسى حتى كنت قد اقتنعت وبدأت أتردد على المصلى الصغير بالكلية، وقررت أن أطلق لحيتى فى الشهور الأخيرة من العام الدراسى الذى نغيب فيه عن الكلية للمذاكرة، وفعلا حضرت الامتحانات وأنا تارك للحية، مما أثار تهكم بعض زميلاتى اللاتى كانت تربطنى بهن علاقة زمالة قوية، ووجدن منى عدم استجابة لكلامهن بخلاف السابق، فأدركن أن شيئًا قد تغير.

وبعد نهاية الامتحانات وفى الصيف شاركت مع زميل لى من الفصل الدراسى نفسه هو الأخ إبراهيم شحاتة فى أول معسكر إسلامى نشترك فيه، وكان نقطة تحول كبيرة فى حياتى حيث تولدت لدىَّ رغبة كبيرة فى المساهمة فى العمل الإسلامى الطلابى، وتعرفت على عدد لا بأس به من رموز الدعاة والعلماء الذين زاروا المخيم وحَاضَروا فينا، كما تعرفت - عن قُرْب - على رموز المجموعة الموجودة فى جامعة المنيا، وكانت مجموعة صغيرة العدد، وكان من رموزها فى ذلك الوقت الأخ محيى الدين عيسى والأخ كرم زهدى والأخ على عبد الحكيم من قرية (دلجا) مركز دير مواس والأخ حسن يوسف من مركز مغاغة والأخ حسين سليمان وآخرون، وكانت كل هذه المجموعة من جامعة المنيا عدا الأخ كرم زهدى كان فى معهد تعاون زراعى بأسيوط لكنه كان من أبناء مدينة المنيا، وكانت تربطه بالأخ محيى الدين عيسى صداقة قديمة (قبل الالتزام) وكانا يشكلان معًا فريقًا مسرحيًّا، وكان له وضع مميز قريب من الأخ محيى الدين عيسى أمير الجماعة الإسلامية فى ذلك الوقت.

وعرفت كيف تكونت الجماعة الإسلامية فى ذلك الوقت فهى كانت جماعة نشاط بالجامعة وكان اسمها «الجماعة الدينية»، ثم قرر الشباب القائمون على شأنها فى جامعة القاهرة - وخاصة كلية الطب التى كان من رموزها فى هذه الفترة د. عبد المنعم أبو الفتوح و د. عصام العريان - تغيير الاسم إلى «الجماعة الإسلامية»، وكانت جماعة هلامية وليست تنظيمًا كما تحولت فيما بعد على أيدى المجموعة التى أرادت تبنى العنف كمنهج للتغيير أو «القوة» بتعبيرهم، وقامت «الجماعة الإسلامية» بجامعة القاهرة بعمل مخيمات صيفية مفتوحة للطلاب حضرها عدد من طلاب الجامعات الأخرى مثل المنيا وأسيوط، فأراد الشباب المشاركون فى هذه المخيمات نقل هذه التجربة لجامعاتهم؛ ولذلك كان محيى الدين عيسى وكرم زهدى وأسامة حافظ.... وآخرون من المشاركين فى مخيم «الجماعة الإسلامية» فى جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م، وبعدها بدءوا نشاطهم فى جامعتى المنيا وأسيوط، وكان فى البداية ضعيفًا كطبيعة الأشياء، والتحقت بهم بعد عام تقريبًا من بدايتهم فى جامعة المنيا، وكان المعسكر الطلابى الإسلامى الذى شاركت فيه بداية انطلاقة جديدة لهذه الحركة الإسلامية الطلابية الجديدة، وكانت نتيجة العام الدراسى الأول قد ظهرت، وكنت الأول على

الدفعة التى تجاوز عددها ألف طالب وطالبة، فزاد هذا من اهتمامهم بى وتقديمى كواجهة للجماعة فى بداية العام الدراسى الثانى بالنسبة لى.

وقمنا بعمل أنشطة لاستقبال الطلاب الجدد وإرشادهم للسكن وللكليات ودعوتهم للصلاة فى المسجد والانضمام للجماعة الإسلامية.

ولا بد أن أذكر واقعة مهمة حدثت فى صيف عام ١٩٧٧م حيث التقى الرئيس السادات باتحاد طلاب الجمهورية عقب أحداث يناير عام ١٩٧٧م التى حدثت فيها مظاهرات ومصادمات بسبب رفع أسعار السلع، والتى عرَّفتها المعارضة «بانتفاضة الخبز» وعرَّفها السادات بانتفاضة «الحرامية»، حيث جرى حوار بين الرئيس السادات وعدد من قيادات الحركة الطلابية منهم الصديق حمدين صباحى والأخ د. عبد المنعم أبو الفتوح حيث غضب الرئيس السادات من مداخلة الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح وطالبه بالتوقف وانتهى اللقاء على هذا الصدام، مما أثار شائعات مرة باغتياله وأخرى بإلقاء القبض عليه، وكلتاهما غير صحيحة حيث ظهر بعدها فى جريدة الأخبار فى حوار فى مكتبه، وكان رئيسًا لاتحاد طلاب جامعة القاهرة وأمينًا للجنة الإعلام والنشر باتحاد طلاب الجمهورية، بعدها اقترح الأخ كرم زهدى السفر للقاهرة لزيارة د. عبد المنعم أبو الفتوح فى منزل والده - رحمه الله - فى مصر القديمة وتأثرت كثيرًا بشخصيته منذ تلك الزيارة.

والطريف أن الأخ كرم زهدى ذهب معى للتعرف على أحد قيادات «الإخوان المسلمين» المهمين وهو الأستاذ/ مصطفى مشهور المرشد الأسبق للإخوان المسلمين - رحمه الله -، وكان ذلك فى مقر مجلة الدعوة القديم بالسيدة زينب، وكان الحاج / مصطفى - كما كان يحب أن يُنادى - غير ملتح فى ذلك الوقت وطبقًا للمفاهيم السائدة فى هذه الفترة كانت اللحية من الأمور الأساسية فى قياس مدى الالتزام الدينى، فكانت تلك مثار انتقاد فى ذلك الوقت، ودليلاً فى فهم معظم شباب الحركة الإسلامية - التى كانت مستقلة عن الإخوان - دليل ترخص من الإخوان، كأشياء كثيرة فيها مهادنة منهم للنظام بعد المحن التى تعرضوا لها.. إلخ.

لقد ذكرت واقعة د. عبد المنعم أبو الفتوح؛ لأنه سيكون له دور هام فى مستقبل الحركة الإسلامية كلها، قبل أن أعود إلى فترة بداية العام الدراسى فى أكتوبر عام

١٩٧٧م، حدث أيضًا فى صيف عام ١٩٧٧م حادث بشع وهو حادث اختطاف الشيخ الذهبى وزير الأوقاف على يد مجموعة من جماعة «التكفير والهجرة» كما أسماها المراقبون وأجهزة الإعلام، أو «جماعة المسلمين» كما تسمى نفسها بقيادة شكرى مصطفى، ثم تم اغتياله غدرا ـ رحمه الله- على أيديهم؛ مما أثار رد فعل غاضبًا من الرأى العام والعلماء؛ ومما شكل زادًا بالنسبة لنا ضد ظاهرة التكفير مبكرًا.

أعود إلى بداية العام الدراسى ١٩٧٧-١٩٧٨م حيث نشطنا فى استقبال الطلاب ودعوتهم إلى المساجد بالكليات ومسجد المدينة الجامعية الذى أصبح معقلاً للنشاط والحركة، فى أثناء ذلك قام د. عبد المنعم أبو الفتوح بزيارتنا فى جامعة المنيا ليدعونا للاشتراك فى انتخابات اتحاد الطلاب بالكليات والجامعة، وكان رد فعل المجموعة الموجودة رافضًا فى البداية على أساس أن صورة اتحاد الطلاب سيئة وممارستهم غير منضبطة من وجهة نظرنا. ولكننا وافقنا على وجهة نظره بأن هذه الأماكن أوعية يمكن ملؤها بالخير أو بالشر حسب من يقوم بالنشاط، واستمر هو فى جولاته فى معظم جامعات مصر لدفع رموز هذه الحركة الوليدة للدخول فى هذا المجال، حيث كانوا أول من بدأ المشاركة فى هذا النشاط فى جامعة القاهرة وتبعتهم جامعة الإسكندرية فقط، لذلك شاركنا فى انتخابات اتحاد الطلبة التى جرت فى نوفمبر عام ١٩٧٧م على مستوى الكليات والجامعات، وتم ترشيحى فى كليتى ـ كلية الهندسة ـ التى فزت بها وكنت رئيسًا لاتحاد طلاب الكلية، ثم حصلنا على معظم مقاعد اتحاد الجامعة وكنت أيضًا رئيسا لاتحاد الطلاب بجامعة المنيا، بعدها حدثت دفعة كبيرة للنشاط فى الجامعة ومعظم الجامعات المصرية وحصلت الحركة الإسلامية الطلابية التى كان اسمها «الجماعة الإسلامية» على أغلب مقاعد مجالس ثمانى جامعات حكومية من أصل اثنتى عشرة جامعة كانت قائمة فى ذلك الوقت، وحصلت على أقل من النصف فى مجالس الجامعات الأربع الباقية.

وبالطبع هذه المجموعة الإسلامية التى ليس فيها رابط تنظيمى ولا حتى فكرى بسبب عدم وجود تنظيم حقيقى، ولا يوجد مصدر فكرى واحد، بل مصادر عديدة: منها ما هو سلفى ومنها ما هو إخوانى ومنها ما هو تبليغى ومنها ما هو أزهرى، كل هذه المصادر أثرت فى فكر شباب الجماعات الإسلامية المختلفة فى الجامعات المصرية، وكانت بعض الجامعات يغلب عليها تيار بعينه عن الآخر، فكانت جامعة عين شمس

مثلاً يغلب عليها التيار السلفى فى ذلك الوقت، وكانت جامعة الإسكندرية منقسمة بين التيار السلفى والتيار الآخر الذى تحول بعد ذلك إلى الإخوان، وكانت جامعة الأزهر يغلب عليها تيار أزهرى مستقل بعيداً عن كل التيارات الأخرى وكان يقوده د. عبد الله سعد. وهكذا.

ولكن مجموعة جامعة القاهرة ـ وخاصة كلية طب القصر العينى ـ كان لها دور قيادى فى توجيه هذه الحركات المختلفة، فتمت الدعوة لعمل مجلس لأمراء الجماعات الإسلامية فى كل الجامعات (وكانت كل كلية تختار من خلال المسجد أميراً لها، وكل جامعة تختار أميراً للجامعة بالطريقة شبه التوافقية نفسها فى المسجد)، وكان يتم عقد هذا الاجتماع مرة كل شهر فى مسجد كلية طب القصر العينى، ومن هذا المجلس تم تنسيق المواقف بشكل ما بين الجامعات المختلفة، ومنها تنسيق الموقف بالنسبة لاتحاد طلاب مصر، التى شكلت لجنة لإدارة هذا الموضوع باقتراح أيضًا من د. عبد المنعم أبو الفتوح، وكانت اللجنة برئاسة د. محمد عبد اللطيف الذى كان رئيسًا لاتحاد طلاب كلية الطب مع د. عبد المنعم أبو الفتوح حين كان رئيسًا لاتحاد طلاب الجامعة (جامعة القاهرة)، ومن هذا التنسيق تم الاتفاق على ترشيحى رئيسًا لاتحاد طلاب الجمهورية، الذى رُفض بقوة من أجهزة الدولة فى ذلك الوقت حين كنا نتفاوض لإجراء الانتخابات ـ التى تم تأخيرها ـ مع د. صوفى أبو طالب رئيس جامعة القاهرة فى ذلك الوقت، ثم انتهى الاتفاق على د. محمود طلعت جلال رئيسًا لاتحاد طلاب الجمهورية (وكان رئيسًا لاتحاد طلاب جامعة عين شمس) وكاتب هذه السطور نائبًا أول لرئيس اتحاد طلاب الجمهورية وباقى التشكيل الذى تم بعد أحداث تصادمية بتأخير الانتخابات حتى أكتوبر ١٩٧٨م بدلاً من مارس ١٩٧٨م .

كل هذه الأنشطة أضافت زخمًا داخل الحركة الطلابية الإسلامية وجعلتها الحركة الطلابية الأولى فى الجامعة فى هذه الفترة، بعد أن كانت الفترة الأولى فى السيطرة على الحركة الطلابية للتيار اليسارى الماركسى، ثم الفترة الثانية للتيار القومى الناصرى، والفترة الثالثة والأخيرة من السبعينيات للتيار الإسلامى المستقل.

فى هذه الأثناء كانت داخل مجموعة الصعيد ـ وخاصة جامعتى المنيا وأسيوط ـ مجموعة صغيرة تميل لاستخدام العنف على مستوى صغير، ولم يكن هذا السلوك

مستهجنًا فى ذلك الوقت، ولكن مع الوقت بدأ يتطور نحو العنف الكبير (أو منهج التغيير بالقوة) أى تغيير نظام الحكم، وكان صاحب هذه الفكرة هو الأخ كرم زهدى، وكان كثيرًا ما يعرضها علينا ـ نحن المجموعة التى تتولى قيادة الحركة فى جامعة المنيا ـ وقد ازداد دور كاتب هذه السطور ليكون رقم ٢ بعد الأخ محيى الدين عيسى حتى تخرجه، وبالتالى كنا ـ الأخ محيى وكاتب هذه السطور ـ نسخر من هذه الأفكار ونرفضها، وكان هذا مثار غضب الأخ كرم زهدى، وكان كثيرًا ما يحاول إغراء الأخ محيى الدين عيسى بإنشاء تنظيم مستقل على مستوى الصعيد يكون محيى الدين عيسى أميره وكرم زهدى مسئول الجناح العسكرى فيه، وكان الرفض والسخرية معًا يقدمان كلما اقترح هذه الاقتراحات، وحين كنا نسأله بسخرية عن مصادر تمويل هذا التنظيم كان يقول محلات الذهب المملوكة للنصارى(المسيحيين) طبعًا.

وتزامن مع هذا التفكير محاولات دءوبة من جماعة «الإخوان المسلمين» لإقناع قيادات الحركة الإسلامية الطلابية التى كانت تستخدم اسم «الجماعة الإسلامية» قبل تحولها للعنف بالانضمام للإخوان، وكان الأستاذ/ مصطفى مشهور هو أكثر الأشخاص محاولة لذلك فقد كان يزورنا بانتظام فى جامعة المنيا ويبيت معنا فى المدينة الجامعية ويشاركنا طعامنا البسيط فى المسجد ليقنعنا بالانضمام، ولم يكن لنا (أقصد مجموعة منا مثل الأخ محيى وكاتب هذه السطور والأخ حشمت خليفة وآخرين) اعتراضات كثيرة على الإخوان، فى حين كان كرم زهدى والمجموعة التى بدأت تتأثر به وبأفكاره لها رفض عنيف لهذه الفكرة (ربما لأنها تتعارض مع فكرة إنشاء تنظيم مسلح أو له جناح مسلح مستقل فيما بعد)، وظل الحال كذلك وكان معنا معيد بكلية العلوم جامعة المنيا قسم النبات هو الأخ الدكتور السيد عبد الستار الذى كان يعلن انتماءه للإخوان، لكنه كان يشاركنا كثيرًا من أفكارنا ونشاطنا وكان أقرب شخص لقلوبنا وكان نموذجًا محببًا من الإخوان للجميع، كما ساهم فى تأثرنا بالاقتراب من الإخوان الأخوان عبد المنعم أبو الفتوح وعصام العريان اللذان سبقانا سرًّا للانضمام للإخوان مع المجموعة الرئيسية المؤسسة للحركة فى جامعة القاهرة، وكان منهم د. محمد عبد اللطيف، ود. ثناء أبو زيد وآخرون.

ثم بدأنا نواجه مشاكل الحركة الطلابية، حيث تخرج عدد كبير من النشطاء ولم يعد لهم دور وانقطعت العلاقة مع كثير منهم حيث إن الحركة فى الجامعات فقط، وكذلك

الصدام مع السلطة فى عهد الرئيس السادات وحل اتحاد طلاب الجمهورية وإلغاء لائحة عام ١٩٧٦م وذلك عام ١٩٧٩م والقبض على مجموعة منا ـ منهم كاتب هذه السطور ـ ومحيى الدين عيسى وكرم زهدى ومجموعة من قيادات الحركة بالمنيا، وفى السجن تناقشنا معًا ـ كاتب هذه السطور ومحيى الدين عيسى ـ عن المستقبل فى ضوء كل ذلك فلقد كان أمامنا فى ذلك الوقت خياران فقط للتحول للعمل التنظيمى: إما بقبول فكرة كرم زهدى فى إنشاء تنظيم مستقل له جناح عسكرى وهى فكرة مرفوضة بقوة منذ أوائل اقتراحها، أو الانضمام للإخوان كتنظيم سلمى له تاريخ وامتداد بالرغم من ملاحظاتنا عليه.

وفى سجن المنيا فى الفترة من إبريل حتى يوليو عام ١٩٧٩م قررنا الانضمام للإخوان ـ الأخ محيى الدين عيسى وكاتب هذه السطور ـ والذى حسم الأمر هو دخول رموز نحبها ونحترمها ونتأثر بها من قيادات الحركة الطلابية فى القاهرة والإسكندرية، واتفقنا على أن يظل هذه القرار سرّا بيننا فلم نطلع عليه أحدًا آخر وخاصة كرم زهدى والمجموعة التى تأثرت به، وخرجنا من السجن وانضممنا للإخوان وظللنا نعمل فى صمت لضم عدد من الشباب للإخوان طوال عام تقريبًا حتى قرر الإخوان أن يعلنوا أنهم يضمون شباب الحركة الإسلامية الطلابية وخاصة القيادات فيهم، وكنت هاربًا من قرار القبض علىّ فى مظاهرات فى المنيا عام ١٩٨٠م وكذلك كرم زهدى، فى حين أن الأخ محيى الدين عيسى كان فى السجن.

فى هذه الفترة زار محافظة المنيا د. عصام العريان، وفى حواره لمحاولة ضم بعض العناصر للإخوان فى مدينة بنى مزار ذكر د. عصام العريان، أن محيى الدين عيسى وأبو العلا ماضى قد انضما بالفعل للإخوان منذ فترة، وكان حاضراً فى هذا الاجتماع أحد أبناء بنى مزار وفى الوقت نفسه قيادى فى الحركة الطلابية الإسلامية بجامعة أسيوط، فذهب بالخبر مسرعًا لقيادات المجموعة الأخرى التى على رأسها كرم زهدى وأبلغهم بالأمر.

وكان قد حدث تطور مهم فى جامعة أسيوط فى عام ١٩٧٩م كان أمير الجماعة الإسلامية بأسيوط من الإخوان هو الدكتور أسامة سيد عبد الحميد والده من قيادات

الإخوان فى تنظيم عام ١٩٦٥م، وحدث أن قامت مظاهرات بتحريض من كرم زهدى وجاء هو معترضًا على المظاهرات فحدث اجتماع للجماعة الإسلامية بأسيوط وقرروا عزله وتعيين د. ناجح إبراهيم الذى كان أميرًا للجماعة الإسلامية بالمدينة الجامعية كأمير للجماعة بجامعة أسيوط، ومنذ ذلك الوقت سيطر جناح كرم زهدى على جامعة أسيوط بأكملها فى الوقت الذى بدأنا نحن فى جامعة المنيا التضييق عليه سواء فى خطب الجمعة بالمدينة الجامعية الذى كان كثيرًا ما يستخدم أسلوبًا لا يليق فى السب والهجوم، فبدأ يركز كرم فى جامعة أسيوط ويقضى فيها وقتًا أطول عن المنيا (جامعة ـ ومدينة)، فحين وصل خبر انضمامنا (الأخ محيى الدين عيسى وكاتب هذه السطور) إليهم شرعوا فورًا فى الهجوم العلنى على الإخوان وتحذير الشباب منهم، وبالتالى الهجوم علينا بحجة انضمامنا لهؤلاء المتهمين فى عقيدتهم وفكرهم وسلوكهم .. إلخ.

وشرع كرم ـ فى البدء ـ فى إنشاء التنظيم الذى له الجناح المسلح الذى كان يحاول معنا لعمله معًا، وفى محاولة العودة للمنيا للرد على هذا الهجوم بعد عودتى من رحلة من ماليزيا مع الأخ الدكتور عصام العريان وفى طريقى للمنيا بصحبة الأخ حشمت خليفة تم القبض علينا فى نقطة تفتيش فى مدخل مدينة مغاغة شمال المنيا ودخلنا السجن، وتنقلت مع الأخ حشمت خليفة بين عدة سجون حتى خرجنا معًا ومع الأخ محيى الدين بعد شهرين لى بالسجن حين مكث الأخ محيى خمسة شهور منهم ثلاثة شهور قبلنا، وبدأنا مرحلة جديدة من النقاش مع الشباب ومحاولة تفهيمهم الحقيقة والرد على الهجوم الكاسح على الإخوان وعلى أشخاصنا، واستمر هذا الحال لمدة شهور حتى استطعنا أن نعدل الميزان فى صالحنا، ثم بدأت رحلة الصراع على المساجد من يسيطر على المساجد التى كانت تديرها «الجماعة الإسلامية» قبل الانشقاق إلى مجموعتين مجموعة استعملت اسم «الجماعة الإسلامية» وعملت شعارًا لها عبارة عن مصحف خارج منه سيف واحد والآية ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾، ومجموعتنا التى استعملت اسم «الجماعة الإسلامية» أيضًا ولكن مع شعار الإخوان وهو سيفان وبينهم مصحف وكلمة ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾،

وحين تكررت أفعال عنف من المجموعة الأولى قررنا التخلى نهائيّا عن اسم «الجماعة الإسلامية» وتم استعمال اسم «الإخوان المسلمون» والله أكبر ولله الحمد الشعار الشهير، ومنذ ذلك الحين أصبحت كلمة «الجماعة الإسلامية» تعنى شيئا جديداً، تعنى جماعة منظمة كتنظيم ينتهج التغيير بالقوة أو بالعنف.

وبدأت تتسرب معلومات خلال نهاية عام ١٩٨٠م وأوائل عام ١٩٨١م عن تدريبات فى شقق لبعض الشباب على استخدام السلاح وخاصة المسدسات، فحين علمنا دعونا لاجتماع لرموز الحركة الإسلامية بكل أطيافها فى مدينة المنيا، دعونا كرم زهدى لحضور هذا الاجتماع وواجهناه بالمعلومات التى تسربت إلينا بشأن تدريب بعض الشباب على السلاح فغضب غضبًا شديداً واستعمل التقية معنا حيث نفى صحة هذه المعلومات وقال: أنتم تحرضون الأمن علينا بإشاعة هذه المعلومات الكاذبة، ونحن نعلم أن كلامه هو غير صادق؛ لأننا سمعنا من الشباب الذين ذهبوا للتدريب ثم ترددوا فجاءوا إلينا وأخبرونا.

كذلك حدثت واقعة لها دلالة هامة بعد الخلاف والصدام والانقسام إلى مجموعتين كنا نقف معًا ـ المهندس/ محيى الدين عيسى وأنا ـ أمام مستشفى المبرة بالمنيا لدى ميكانيكى سيارات ومر الأخ كرم زهدى فسلم علينا وكنا علمنا بحادثة الهجوم من قبَل ملثمين على محل ذهب مملوك لمسيحى فى مدينة نجع حمادى بمحافظة قنا وسرقة أكثر من ستة كيلوجرامات من الذهب وقتل من بالمحل والهرب بسيارة بغير لوحات، فسأله الأخ محيى الدين عيسى (نظرًا لسابقة عرضه فكرة أن تمويل التنظيم الجديد من محلات الذهب المملوكة للنصارى، حيث إن أموالهم غنيمة فى فهمه) فأبدى سعادته بالخبر وكأنه أول مرة يسمع به ثم خر على الأسفلت ساجداً، فعاد الأخ محيى ليسأله أليس لك علاقة بهذا الموضوع؟ فنفى مستنكرًا وقال (اتق الله يا شيخ محيى) ثم انصرف، فسألنى المهندس/ محيى ما رأيك ؟ قلت له هو الذى فعلها فوافقنى على هذا التحليل، والطريف أن هذا الحادث لم يُكتشف أنهم الفاعلون إلا فى تحقيقات قضية الجهاد الكبرى بعد اغتيال الرئيس السادات وأحداث مدينة أسيوط.

كذلك من الوقائع الهامة وذات الدلالة، أنه فى عام ١٩٨٠م حينما كان مطلوبًا القبض علينا ونحن هاربون ـ كرم زهدى وكاتب هذه السطور ـ وقد كنت ارتبطت

بالإخوان ولم يعلم بعد، جاء شاب تعرف على كرم زهدى أثناء رحلة عمرة واسمه شعبان يسكن ببولاق الدكرور ومعه مهندس شاب اسمه محمد عبد السلام فرج (الذى أعدم بعد ذلك فى قضية اغتيال الرئيس السادات وصاحب كُتيب «الفريضة الغائبة») وتعرف علينا ـ الأخ كرم زهدى وكاتب هذه السطور ـ وأبدى محمد عبد السلام فرج إعجابه بمجموعات الصعيد التى تغير المنكر وتأمر بالمعروف بالقوة، فأخبرته أنا أن هذا الأسلوب غير مناسب، فى حين تجاوب معه بالطبع كرم زهدى وبدأ التعارف بينهما من ذلك الوقت، مما مهد الطريق لعمل تنظيم مشترك.

بعد ذلك حينما علم كرم بانضمامنا للإخوان وكانت لديه عقدة أنه ليس لديه أنصار فى القاهرة ووجه بحرى، وكان محمد عبد السلام فرج لديه مجموعة بالقاهرة وخاصة بولاق الدكرور والبحيرة (بلده)، وكنا أيضًا قد تعرفنا على الشيخ عمر عبد الرحمن مبكرًا فى أوائل النشاط الإسلامى الطلابى فى المنيا من خلال دروس كان يقدمها فى مسجد أحد رموز الإخوان القدامى وأحد المؤسسين بالصعيد وهو الشيخ محمود عبد المجيد العسال الذى أنشأ جمعية أسماها (جمعية العلم والإيمان)، وكان الشيخ العسال يقدم الشيخ عمر عبد الرحمن لإعطاء دروس بالمسجد وخاصة للفتيات والسيدات لكونه كفيفًا وكان له صوت عذب فى القرآن، ثم اختفى الشيخ عمر عبد الرحمن لمدة حوالى ثلاث سنوات للعمل بالسعودية، وقد كان مدرسًا فى ذلك الوقت بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر فرع أسيوط وتخصصه التفسير.

وحينما عاد الشيخ عمر عبد الرحمن من السعودية حدث خلاف بينه وبين أعضاء مجلس إدارة الجمعية الإسلامية التى يعمل من خلالها بالفيوم على الأموال التى جمعها لحساب الجمعية من السعودية، واتهمه أعضاء مجلس الإدارة فى ذمته ودافع هو عن نفسه واتهمهم هم بالقصور وعدم المسئولية، فلما عاد إلى الفيوم أصبحنا ندعوه للمنيا لإعطاء المحاضرات والدروس سواء العامة أو للسيدات.

وبدأ كرم زهدى بالتقرب أكثر من الشيخ عمر عبد الرحمن حتى جاء مرة فى نهاية عام ١٩٨٠م بعد أن عُرف أننا انضممنا للإخوان وقدمته للحاضرين فى المسجد (مسجد الرحمن بأرض المولد بالمنيا) ففوجئت به يهاجم الإخوان ويهاجمنا فى وسط الشباب الذى كان قد توزع على الفريقين وختم الشيخ عمر عبد الرحمن الحديث وأقام الصلاة مباشرة وأمّ الناس دون إعطائى الفرصة فى التعليق وغلق الحديث لأنى أنا مضيفه

ومقدم المحاضرة بطريقة غير لائقة فتركته فى المسجد ولم أصحبه للسفر كالعادة ولم أكلمه مطلقًا بعدها حتى تقابلنا فى سجن ليمان طرة فى مستشفى السجن، حيث كان يقيم فى نهاية عام ١٩٨٢م حيث سلَّم علىّ بحرارة واعتذر عما حدث وعزانى فى والدى رحمه الله (حيث مات والدى بعد اغتيال الرئيس السادات بيومين فقط)، وطلب منى أن أبلغ من بالخارج(لعله يقصد الإخوان) أنه برىء مما حدث فى أسيوط وأنه غير موافق عليه وأنه أفتى للشباب الذين قاموا بهذا العمل بصيام ستين يومًا كفارة القتل الخطأ، ولقد كانت خبرتى مع الشيخ عمر أنه يتأثر برأى الشباب حوله وأنه يغير فتواه إذا ما غضبوا حتى يرضيهم، ولذلك حينما اتهموه بأنه أمير «الجماعة» كنا نضحك ونعلم أنه غير ذلك حتى لو قالوا هم إنه «أمير»؛ لأن الأمير الحقيقى كان دائمًا كرم زهدى لكنه يحب أن يعمل وراء ستار آخر، وإن كان أخيرًا فى المراجعات ظهر بوصفه المحرك الرئيسى وصاحب الحظ الأوفر فى اتخاذ القرارات.

أعود إلى الفترة التى تلت الانقسام الحاد بين المجموعتين، حيث توالت الأحداث بعد ذلك حتى حدث صدام سيئ بين الطرفين: مجموعتنا التى انضمت للإخوان ومجموعة كرم زهدى، على صلاة العيد فى المنيا أثناء المسيرة الرئيسية وفى مكان الصلاة على الكورنيش(كورنيش النيل) بالمنيا وظهرت المطاوى وقطعت أسلاك الكهرباء على الأخ محيى وهو يتحدث فى الميكروفون، وبعدها بأيام قليلة جاءت قرارات التحفظ الشهيرة فى سبتمبر عام ١٩٨١م وكنا جميعًا فى قائمة التحفظ، وبالمناسبة كانت الأجواء تنذر بحدوث حملة اعتقالات واسعة؛ لذلك كثير منا وخاصة فى المنيا سواء من قيادات المجموعة التى انضمت للإخوان أو من قيادات المجموعة الجهادية الجديدة كان ينتظر قرارات الاعتقال بعيدًا عن بيوتنا، فلذلك حينما جاءت قرارات الاعتقال فى فجر الثالث من سبتمبر عام ١٩٨١م لم تستطع أجهزة الأمن ضبط العديد من هذه القيادات، والتقيت وأخى المهندس محيى الدين عيسى فى صباح الثالث من سبتمبر حيث كنت أبيت عند أقرباء لى بقرية أطسا التابعة لمركز سمالوط بالمنيا بعد مشاركتى فى واجب عزاء، وحين عدت لمنزلى وجدت والدتى - يرحمها الله - وأختى الكبيرة ينتظراننى فى البلكونة ليحذرانى من أن البوليس قد جاء يبحث عنى فى فجر ذلك اليوم فغادرت المنزل مباشرة إلى مكان غير معروف فى إحدى ضواحى المدينة ووجدت المهندس محيى الدين عيسى هناك، وبدأنا رحلة للتخفى والهرب استمرت حوالى أحد عشر شهرًا أى من سبتمبر ١٩٨١م حتى أغسطس ١٩٨٢ م.

في أثناء ذلك ـ أي بعد قرارات الاعتقال التى اخترع لها الرئيس السادات اسم «التحفظ» ـ هاجم الرئيس السادات الجميع، ومنهم علماء أجلاء مثل الشيخ أحمد المحلاوى إمام مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية وقال عنه: إنه «مرمى فى السجن زى الكلب»، وتحدث كذلك عن الشيخ حافظ سلامة قائد المقاومة الشعبية فى السويس وقال عنه مجنون، وكان فى ذلك الوقت محمد شوقى الإسلامبولى من قيادات الجماعة الإسلامية بأسيوط التى تحولت نحو العنف وكان له أخ أصغر هو الملازم أول خالد الإسلامبولى ضابط بالقوات المسلحة وكان متدينًا ومتعاطفًا مع أفكار أحد الدعاة اسمه الشيخ طه السماوى أو (عبد الله السماوى).

وكان الشيخ السماوى يُكفّر الحكومة ويُحرّم العمل فيها وفى الجيش؛ لذلك كان أحد الذين تأثروا به واستقالوا من الجيش المتهم الثانى فى قضية اغتيال الرئيس السادات عبد الحميد عبد السلام، أما خالد الإسلامبولى فكان كلما أراد الاستقالة منعه والده الأستاذ أحمد شوقى الإسلامبولى المحامى بشركة السكر بنجع حمادى فلم يكن خالد الإسلامبولى عضوًا بالجماعة الإسلامية لكنه كان يحب أخاه محمد حبًّا كثيرًا فحينما ذهب لزيارة أسرته فى مدينة ملوى بالمنيا فى عيد الأضحى الذى جاء بعد قرارات سبتمبر، وعلم أن أخاه محمد قد اعتقل فبكى كثيرًا وكان غاضبًا من الرئيس السادات أيضًا لسبه العلماء السابق الإشارة إليهم، ولكونه كذلك هاجم الحجاب وأسماه «خيمة»، وكان قبلها بفترة قصيرة قد اختير ليشارك فى العرض العسكرى بمناسبة احتفالات مصر بذكرى الانتصار المجيد فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م، فقرر خالد الترتيب لمحاولة اغتيال الرئيس السادات لكل الأسباب التى ذكرتها أيضًا، فعاد إلى القاهرة وعرض الأمر على عدد قليل من الأشخاص منهم عبد الحميد عبد السلام الضابط السابق بالقوات المسلحة الذى استقال منها تأثرًا بأفكار الشيخ السماوى ـ كما ذكرنا ـ وقد كان قناصًا فوافق على الفور وبدآ معًا الترتيب للأمر، وعرض كذلك خالد الإسلامبولى الأمر على محمد عبد السلام فرج، الذى كوَّن مع كرم زهدى مجلسًا مشتركًا للجماعة التى اتفقوا على تكوينها بين مجموعة الصعيد برئاسة كرم زهدى ومجموعة القاهرة وبحرى برئاسة محمد عبد السلام فرج، وكان من ضمن جناح محمد عبد السلام فرج ضابط المخابرات والاستطلاع المقدم عبود الزمر وابن عمه طارق الزمر وكانا أيضًا فى مجلس الشورى المشترك، فقام محمد عبد السلام فرج

بعرض الفكرة على مجلس الشورى المشترك الذى وافق على دعم خالد الإسلامبولى فى فكرة اغتيال الرئيس السادات (رغم إبلاغى من المقدم عبود الزمر حينما التقينا فى سجن ليمان طرة فيما بعد أنه لم يوافق على اغتيال الرئيس السادات فى هذا الوقت ولم يوافق على ما تلاها من أحداث)، فقام محمد عبد السلام فرج بترشيح أشخاص لخالد الإسلامبولى ليختار من بينهم من يصلح فى عملية الاغتيال، وقد اختار خالد بالفعل اثنين آخرين بالإضافة له ولعبد الحميد عبد السلام وهما حسين عباس وعطا طايل، وكذلك أمده محمد عبد السلام فرج بذخيرة وأسلحة وقنابل، وتمت الحادثة كما رآها وتابعها الملايين على شاشات التليفزيون.

فى ذلك الوقت كان كرم زهدى موجودًا بأسيوط فحينما نجحت عملية الاغتيال رتب على عجل عملية اقتحام مديرية أمن أسيوط وتجمعات للشرطة فى أماكن مختلفة فى أسيوط طبقًا لخطة سابقة تبدو ساذجة أكثر منها جادة وهى خطة الاستيلاء على مديرية أمن أسيوط وعلى السلاح فيها ثم الانتقال لمحافظة تالية وهى المنيا وتحقيق الأمر نفسه وهكذا حتى يصل إلى القصر الجمهورى بعابدين، وجمع كرم أعدادًا ليست كبيرة من الشباب من محافظات المنيا وأسيوط وسوهاج وباتوا ليلة ٨ أكتوبر فى مدينة أسيوط، وكانت تلك ليلة العيد أى بعد اغتيال الرئيس السادات بيومين حيث اغتيل يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١م، وفى صباح الغد قسموا أنفسهم إلى مجموعات لعلها خمس مجموعات وكانت قطع السلاح التى معهم قليلة جدًا على أمل أن يستولوا على السلاح من السلاحليك بمديرية الأمن، وقتلوا أعدادًا كبيرة من ضباط الشرطة والجنود - أكثر من ثمانين - لكن العملية انتهت بالسيطرة عليهم فى أقل من نصف ساعة بعد إصابة عدد منهم والقبض على عدد آخر وانتهت العملية تمامًا، وحدثت أيضًا عمليات محدودة فى القاهرة من مجموعات صغيرة ليس لها ارتباط تنظيمى بهذه المجموعة الكبيرة مثل الهجوم على معسكر أمن مركزى أو اغتيال ضباط شرطة، ولكن تمت السيطرة على الموقف سريعًا، وجُمعت كل هذه الأحداث فى قضية اغتيال الرئيس السادات وكان عدد المتهمين فيها ٢٤ متهمًا وهى قضية عسكرية، وباقى القضايا حولت إلى أمن الدولة العليا وعُرفت بقضية الجهاد الكبرى، وكان عدد المتهمين فيها ٣٠٢ من المتهمين.

وبعد انتهاء كل هذه الأحداث بفترة تم القبض عليّ وعلى المهندس محيى الدين عيسى حيث كنا ما زلنا هاربين من قرار القبض علينا ضمن قائمة التحفظ الشهيرة فى سبتمبر ١٩٨١م، وتم وضعى فى السجن نفسه والعنبر نفسه مع قيادات الجماعة بشقيها الصعيدى والبحرى فى تأديب سجن ليمان طرة ومكثت معهم حوالى أربعة شهور قبل أن أنتقل إلى عنبر ثان داخل السجن، جرى فى هذه الفترة حوارات أخرى حول ما جرى وعرفت بالمعلومات التى ذكرتها حول حادثة الاغتيال، وكانت تلك أول مرة أقابل المقدم عبود الزمر حيث جاء إلى تأديب ليمان طرة لمدة شهر قبل أن أنقل إلى عنبر ٢ بالسجن نفسه وسمعت منه أشياء كثيرة أشرت إلى أهمها سابقًا .

بعد انتهاء المحاكمات سواء العسكرية أو المدنية وذلك عام ١٩٨٤م خرج عدد كبير ممن قضت المحكمة إما ببراءتهم أو بسجنهم ثلاث سنوات حيث قضى الجميع مدة ثلاث سنوات، بعدها بدأ التأسيس والتأصيل الحقيقى لفكر الجهاد سواء لجناح الجماعة الجهادية (الجماعة الإسلامية) أو للقسم الثانى الذى انفصل بعد ذلك باسم تنظيم الجهاد، وصدرت معظم أدبيات هذه الحركات فى الفترة من ١٩٨٤ حتى ١٩٨٧م، وانتشر التنظيم أكثر فى أماكن كثيرة مستفيدين من فترة السجن التى نظموا فيها أنفسهم ونجحوا فى ضم أعداد كبيرة داخل السجن وتجنيدهم حتى انفجرت أسوأ موجة عنف عرفتها مصر فى تاريخها كله منذ عام ١٩٩٠ حتى عام ١٩٩٧م، حتى صدرت مبادرة وقف العنف فى ٥ يوليو عام ١٩٩٧م وتلتها الأحداث التى أشرت إليها من رفض جناح الخارج وحدوث مذبحة وادى الملوك بالأقصر التى راح ضحيتها أكثر من ستين معظمهم من الأجانب، ثم صدر قرار مجمع عليه بوقف العنف من الداخل والخارج، وبدءوا فى كتابة المراجعات وتدريسها حتى صدرت للرأى العام فى يناير ٢٠٠٢ م.

ولقد كنت طوال الوقت متابعًا لكل هذه الأحداث سواء بشكل شخصى بمصادر شخصية للمعلومات أو مصادر منشورة، ولقد كان لى شرف الكتابة عن هذا الموضوع - ومنها هذه الدراسة - قبل أن يبدءوا فى كتابة المراجعات؛ لذلك حينما ظهرت المراجعات رحبت بها كما ذكرت، ولكن علقت عليها وضمنت هذه التعليقات والنقد لها فى هذه الدراسة، لعلى بهذا التطواف السريع عن تجربتى مع هذه المجموعات أؤكد على فكرة أن ما كتبته نابع من زاويتين - كما أشرت فى البداية - زاوية التجربة الشخصية والرؤية التى أقرب لأن تكون من الداخل، وزاوية المتابع والباحث من الخارج، ولذلك استشهدت بمصادر أخرى للمعلومات غير تجربتى الشخصية .